● يقفز ، كعادته ، من الدمعة الى الابتسامة . ولا يجد مكانا يربّي فيه قلبه. خلقوا التوتر أولا ، ثم صبوا فيه جسد كمال ناصر .

كان مليئا بالشعر ، وخاليا من القصيدة .

كان طافحا بالوطن ، وخاليا من الارض .

ولو كتب الملاحم الشعرية لانصرف عنها ، لان رياحه لا تتسع لها الحروف .

ولو وصل الى فلسطين لمزقها ، لان الخارطة بموظفيها لا تستوعب هـذا الطائر الجامح .

مندفع .. مندفع الى أين ؟

ضيّق هذا الجسد المليء بالرخام والعصافير . والارض أضيق من مسام الجلد الغاضب .

وهو أول من لا يعرف .

حين تفاجئه بسؤال : ماذا تريد ؟ يتوتر التوتر في قبضة يده . ويتحول الى خصلة شعر في ريح . ويقول كلاما غامضا كأنه فلسطين التي ، من شدة ما علموها اللغات ، لم تعد تتقن أية لغة .

● ليست القصيدة بديلا لاي شيء في الكون .

هذا ما يعرفه كل الشعراء . وهذا ما يجهله كل الشعراء .

سأعود الى الشعر ، يقول حين يجلس على كرسي التعب . ولكن ، من يضع المساء على مكتب ويأمره بالذبول !. كان حزينا ومرا لهذا السبب « ضُيّعتُ زمان الشعر » . ولم يكن يعرف انه صار عاجزا عن كتابة القصيدة ، لانه تحول كله الى قصيدة ، فكيف يقلّد جماله ! .

● من حدد له هذا الموعد مع الموت ، فراح ينظّم الجنازة ، والمراثي ، ويختبر حزن الاصدقاء ، ويسجل صمته على شريط طويل خوفا من الصوت ؟

هو .. هو الذي حدد هذا الموعد .

حجز مكانا في مركبة الرحيل العائد .

أعد الحقائب والشهادة الصحية والهدايا ، وسافر في الدرجة الاولى .

كان الموت مطرا ، طيلة ذلك العام . وصل الفلسطيني الى كل المواسم الدامية ، ولم يصل الى الحصاد . من يجفف هذا الماء الاحمر لتعرف السنبلة أنها نضجت ! .

وكمال ، كعادته ، يبشر ويفجّر . حيوي كشظايا في أوج الانفجار . ورقيق كفراشة تداعب شفة ناعمة .

كيف يتزوج الواقع والحلم على يد هذا الكاهن الثائر ؟. ضيّق المسافة فتلاشت ، ورأى ان فلسطين على أهبة الرحيل من القضية الى الوصول ، ومن البندقية الى المحراث .

كان يسكن تفاصيل الواقع وجوهر الحلم ، ويرى البشاعة زائلة .

يقولون : ضحى بالشعر من أجل الواقع . لا . لم يضح بالشعر . كان يمارسه ، يمشيه ، وكان يطبقه .